

قافية الشاء

وقال أيضًا يمدح مالك بن طوق ويستبطنه: [من الكامل]

قِفْ بِالطُّلُولِ الدَّارِسَاتِ عَلَاثَا	أَمَسَتْ جِبَالَ قَطِينِهِنَّ رِثَاثَا ^(١)
قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا	وَقَبُولِهَا وَدَبُورِهَا أَثَلَاثَا ^(٢)
فَتَأَبَّدَتْ مِنْ كُلِّ مُحْطَفَةِ الْحَشَا	غَيْدَاءَ تُكْسَى يَارَقًا وَرُعَاثَا ^(٣)
كَالظَّيْفَةِ الْأَدْمَاءِ صَافَتْ فَارْتَعَتْ	زَهَرَ الْعَرَارِ الْغَضُّ وَالْجُتْجَاثَا ^(٤)
حَتَّى إِذَا ضَرَبَ الْخَرِيفُ رِوَاقَهُ	سَافَتْ بَرِيرَ أَرَاكَةِ وَكَبَاثَا ^(٥)
سَيَافَةُ اللَّحْظَاتِ يَغْدُو طَرْفُهَا	بِالسِّحْرِ فِي عَقْدِ النُّهَى نَفَاثَا ^(٦)
زَالَتْ بِعَيْنَيْكَ الْحُمُولُ كَأَنَّهَا	نَخْلٌ مَوَاقِرُ مِنْ نَخِيلِ جُوثَا ^(٧)
يَوْمَ الثَّلَاثَا لَنْ أَزَالَ لِيَيْنِهِمْ	كَدِرَ الْفُؤَادُ لِكُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثَا

- (١) علاث: مرخم علاثة: قيل إنه اسم الغلام الذي كان مع أبي تمام، أو إنه اسم نفتعل لغير موجود. القطين: أهل الدار. الرثاث، مفردها راث. أي: ذهب وصالهن. أمست: وروى: أضحت.
- (٢) الصبا: الريح الشرقية. القبول: ريح بين الصبا والجنوب، وكل ريح لينة طيبة. الدبور: الريح الغربية.
- (٣) تأبدت: أوحشت وخلت، وهو مأخوذ من الأبد؛ يريد أن الدهر طال عليها. محطفة الحشا: ضامرته. الغيداء: الطويلة العنق. اليارق: ضرب من الحلي. الرعاث: القرط، وهو ما يعلق في شحمة الأذن.
- (٤) الأدماء: الذي في لونها سمرة. صافت: أتى عليها الصيف. العرار: بهار ناعم أصفر طيب الرائحة. الجتجاث: نبت طيب الرائحة.
- (٥) ضرب الخريف رواقه: أي جاء الخريف، استعاره من ضرب فلان رواقه في المكان: إذا أقام فيه؛ والرواق: ما قدام البيت. سافت: شمت. البرير: الغض من ثمر الأراك. الكباش: ما قد بدا فيه اليبس. يريد أنها شمت ثم رعت.
- (٦) أي إن طرفها حسنه يسبي العقول.
- (٧) زالت: من الزوال: الذهاب. أي اختفت فصارت لا تراها عيناك. الحمول: أهوال الراحلين. المواقر: الكثيرة الحمل. جوات: اسم موضع. يشبه الحمول بالنخل الكثير الحمل، فيكون بعضه أصفر وبعضه أحمر وآخر أخضر.

إِنَّ اَلْهُمُومَ الطَّارِقَاتِ كَ مَوْهِنَا
 وَرَأَيْتَ ضَيْفَ اَلْهَمِّ لَا يَرْضَى قِرَى
 شَجَعَاءَ جَرَّتْهَا اَلذَّمِيلُ تَلَوُكُهُ
 أَجْدًا إِذَا وَنَّتِ اَلْمَهَارَى أَرْقَلْتُ
 طَلَبْتُ فَتَى جُشَمِ بْنِ بَكْرِ مَالِكَا
 مَلِكُ إِذَا اسْتَسْقَيْتَ مُزْنَ بَنَانِهِ
 قَدْ جَرَّتْهُ تَغْلِبُ إِنَّهُ وَائِلُ
 مِثْلُ السَّبِيكَةِ لَيْسَ عَنْ أَعْرَاضِهَا
 ضَرَحَ الْقَذَى عَنْهَا وَشَذَّبَ سَيْفُهُ
 ضَاحِي اَلْمُحَيَّا لِلْمَهْجِيرِ وَلِلْقَنَّا
 هُمْ مَزَقُوا عَنْهُ سَبَائِبَ حِلْمِهِ
 مَنَعْتُ جُفُونَكَ أَنْ تَذُوقَ حَثَاثَا
 إِلَّا مُدَاخَلَةَ الْفَقَارِ دِلَاثَا^(١)
 أَصْلًا إِذَا رَاحَ الْمَطْيِيُّ غِرَاثَا^(٢)
 رَقَلًا كَتَحْرِيقِ الْغَضَا حَثَاثَا^(٣)
 ضَرَّغَامَهَا وَهَزَبَرَهَا الدِّلْهَاتَا^(٤)
 قَتَلَ الصَّدَى وَإِذَا اسْتَعْتَتْ أَغَاثَا^(٥)
 لَا خَاثِرًا غُدْرًا وَلَا نَكَاثَا^(٦)
 بِالْغَيْبِ لَا تَدُسَّ وَلَا بَحَاثَا^(٧)
 عَنْ عَيْصِهَا الْخُرَابَ وَالْحُبَاثَا^(٨)
 نَحَّتَ الْعَجَاجَ نَحَالَهُ مَجْرَاثَا
 وَإِذَا أَبُو الْأَشْبَالِ أَحْرَجَ عَاثَا

- (١) الفقار: خرز الظهر، وأراد بمداخلة الفقار: الناقة القوية. الدلاث: الجرئية على السير. أي إن الهم لا يرضى ضيافة غير ناقة قوية الظهر سريعة في السير.
- (٢) شجعاء: طويلة. جرتها: ما تخرجه من جوفها إلى فمها، وتلوكه ثم تبتلعه. الذميل: السير السريع. أصلاً: عند العشية. غراث: جياح. يقول: إن هذه الناقة تجتبر بسيرها السريع، عند العشية، حين تكل الإبل بعد سيرها طول النهار.
- (٣) أجد: قوية. ونت: قترت وضعفت. أرقلت: أسرع. الغضا: شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب، وجره يبقى زمناً طويلاً لا ينطقي. الحثاث: السريع.
- (٤) الدلهات: الجريء.
- (٥) الصدى: العطش.
- (٦) الخاثر: الغادر. الغدر: الغادر أيضاً. النكاث: من نكث العهود. نقضها.
- (٧) السبيكة: شبهه بالسبيكة في صفائه ونقائه، والسبيكة: قطعة من ذهب أو فضة ذوبت وأفرغت في قالب. الندس: الذي يكشف الأمور عن أخبار الناس. يريد أنه عفيف لا يشغل نفسه بالبحث عن أعراض قبيلته، ولا يطعن عليها.
- (٨) ضرح: أزل. شذب: قطع، فرق. عيصها: شجرها الملتف. الخراب: الذين يسرقون الإبل خاصة، مفردها خارب. الحباث، مفردها خابث: ذو الخبث.

لولا القرابة جاسهم بوقائع
بالخيل فوق متونهم فوارس
لكن قراكم صفحة من لم يزل
عف الإزار تنال جارة بيته
عمرو بن كلثوم بن مالك الذي
وزعوا الزمان وهم كهول جلة
ألقى عليه نجارة فأتى به
تركوا مواعده إذا وعد امرئ
وترى تسحبنا عليه كأنها
كم مسهل بك لو عدتكم قلاصه
خولته عيشا أغن وجاملا

تُسي - الكلاب وملهماً وبُعَاثاً^(١)
مثل الصُقور إذا لقين بُعَاثاً^(٢)
وأبوه فيكم رحمةً وغياثاً
أرفادهً ومُجَنَّبُ الأرفاثا^(٣)
ترك العلى لِنبي أبيه تُراثا
وسَطُوا على أحداثه أحداثاً^(٤)
يقظان لا ورعاً ولا مُلتاثاً^(٥)
أنساك أحلام الكرى الأضغاثا^(٦)
جئناه نطلبُ عنده ميراثا^(٧)
تبغي سواك لأوعثت إيعاثا
دثراً ومالاً صامتاً وأثاثا

- (١) جاسهم: طلبهم بالحرص والاستقصاء؛ دار فيهم بالعيث والفساد. الكلاب: يوم من أيام العرب في الجاهلية كان بين عبد يغوث بن أبير وقاص الحارثي، وبين قيس بن عاصم المنقري، أسر فيه عبد يغوث وقتله عصيم بن أبير التميمي بالنعمان بن جساس التيمي. ملهم: يوم بين تميم وحنيفة. بعث: موضع بالمدينة كانت فيه الحرب بين الأوس والخزرج.
- (٢) البُعَاث: طائر لونه أبيض إلى الخضرة، أصغر من الرخم، بطيء الطيران.
- (٣) عف الإزار: عفيف؛ وصف الإزار بالعفة، وهو يريد ما تحته. الأرفاد: العطايا، مفردها رقد. الأرفاث، مفردها رقت: الفحش في الكلام.
- (٤) وزعوا: كفوا ومنعوا؛ ويرى: ردعوا. جلة، مفردها جليل: العظيم. أحداثه: حوادثه. الأحداث الثانية، مفردها حدث: الحديث السن.
- (٥) ألقى: أي عمرو بن كلثوم. عليه: أي على مالك بن طوق. نجارة: أصله. يقظان: أي متيقظ للأشياء. الورع: الجبان. الملتاث: البطيء؛ ويقال: به لوثه، أي ضعف واسترخاء.
- (٦) أضغاث الأحلام: المختلط منها، المشتبه. يريد أن مواعيد ممدوحه تصلح، تنمو، تطيب، في حين أن مواعيد تنسيك في كذبتها كذب الأحلام.
- (٧) تسحبنا عليه: تدللنا عليه.

كُنَّا نُؤْمَلُ مِنْ إِيَابِكَ رَاثَا ^(١)	يَا مَالِكَ ابْنَ الْمَالِكِينَ أَرَى الَّذِي
عَنْ بَرْقَعِيدَ وَأَرْضِ بَاعَيْنَا ^(٢)	لَوْلَا اِعْتِمَادُكَ كُنْتُ ذَا مَدْوَحَةٍ
فَمَقَابِرِ اللَّذَاتِ مِنْ قَبْرَا ^(٣)	وَالْكَامِخِيَّةُ لَمْ تَكُنْ لِي مَنْزِلًا
إِلَّا حَسِبْتُ يَوْمَهَا أَجْدَا ^(٣)	لَمْ آتِهَا مِنْ أَيِّ وَجْهِ جِئْتُهَا
أَعْنِي الْحُطَيْيَّةَ لِأَغْتَدِي حَرَا ^(٣)	بَلَدُ الْفَلَاحَةِ لَوْ أَتَاهَا جَرَوَلٌ
وَتَرُدُّ ذُكْرَانَ الْعُقُولِ إِنَا ^(٣)	تَصْدَابُهَا الْأَفْهَامُ بَعْدَ صِقَالِهَا
فِيهَا وَطَلَّقْتُ السُّرُورَ ثَلَاثَا ^(٣)	أَرْضٌ خَلَعْتُ اللَّهُوَ خَلَعِي خَاتَمِي

(١) إِيَابِكَ: رجوعك. رَاث: أبطأ.

(٢) اعتِمَادُكَ: أراد رجاءك. مَدْوَحَةٌ: متسع. بَرْقَعِيدَ وَبَاعَيْنَا: موضعان بالجزيرة.

(٣) الْكَامِخِيَّةُ وَقَبْرَا: موضعان. مَنْزِلًا: ويروى: موطناً. قَبْرَا: ويروى: قيراثا.

وقال يمدح أبا الغيث موسى بن إبراهيم الرافقي: [من خلج البسيط]

صَرَفُ النَّوَى لَيْسَ بِالْمَكِيثِ	يَنْبِثُ مَا لَيْسَ بِالنَّيْثِ ^(١)
هَبَّتْ لِأَحْبَابِنَا رِيَّاحٌ	غَيْرُ سَوَاهٍ وَلَا رِيْثِ ^(٢)
بُدُورٌ لَيْلِ التَّمَامِ حُسْنًا	عَيْنُ حُقُوفِ ظِبَاءِ مَيْثِ ^(٣)
بَيْنَ الْخَلَاخِيلِ وَالْأَسَاوِي	رِ وَالْدَّمَالِيحِ وَالرُّعْوَثِ ^(٤)
مِنْ كُلِّ رُعْبَوْبَةٍ تَرْدَى	بِثُوبٍ فَيَنَاهَا الْأَيْثِ ^(٥)
كَالرَّشَاءِ الْعَوْهَجِ اطِّبَاهُ	رَوْعٌ إِلَى مُغْزِلِ رَغْوَثِ ^(٦)
رَعَتْ جَنَابِي عَوِيرِضَاتٍ	مِنْ خَزَمَاتٍ وَمِنْ شُثُوثِ ^(٧)
وَلَا حِبِّ مُشْكِلِ النَّوَاحِي	مُنْخَرِقِ السَّهْلِ وَالْوُعُوثِ ^(٨)
لَمْ تَزَجِرِ الْعَيْسُ فِي قَرَاهُ	مُذْ عَصِرٍ - نَوْحٍ وَعَصِرٍ - شَيْثِ ^(٩)

- (١) المكيث: الماكث، المقيم. ينبث: يستخرج. أي لا يبطئ صرف النوى في أن يستخرج وجداً وأرقاً.
- (٢) سواه: من السهو: السهل. الديوث، مفردها ديث: اللين؛ ويروى: دثوث. يريد أن الأحباب هجرونا حين هبت لهم هذه الرياح.
- (٣) العين، مفردها عيناء: الواسعة العين، وأصل ذلك في بقر الوحش، ثم استعمل في بني آدم. الحقوف، مفردها حقف: الكثيب من الرمل فيه انحناء. الميث، مفردها ميثاء: الأرض السهلة.
- (٤) الرعوث: الأقراط. ويروى: بين الأساوير والخللاخيل.
- (٥) تردى: تلبس كالرداء. فيناها: شعرها الطويل. الأثيت: الكثير النبت.
- (٦) الرشا: ولد الظبية. العوهج: الطويل العنق. اطباه: دعاه. روع: فزع. المغزل: أم غزال. رغووث: مرضعة.
- (٧) عويرضات: موضع. خزMAT، مفردها خزمة: شجرة يقتل من لحائها الجبال. الشثوث، مفردها شث: نبت ترعاه الظباء.
- (٨) اللاحب: الطريق الواضح. المشكل: الصعب، المتبس. منخرق: واسع. الوعوث: الطرق الوعرة، مفردها وعث.
- (٩) قرأه: ظهره. أي إنه طريق مهجور.

كَأَنَّ صَوْتَ النَّعَامِ فِيهِ
قَلَصَتْهُ بِالْقِلَاصِ تَهْوِي
مِنْ كُلِّ ضُلْبٍ الْقَرَامَعُوجِ
ذِي مِيعَةٍ مَشْيُهُ الدَّفْقَى
يَطْلُبَنَّ مِنْ عَقْدٍ وَعَدٍ مُوسَى
بَنَانُ مُوسَى إِذَا اسْتَهَلَّتْ
حَيْثُ النَّدَى وَالسَّدى جَمِيعًا
حَيْثُ لَبُونُ النَّوَالِ تَهْمِي
وَالْمَجْدُ مِنَ تَالِدٍ قَدِيمٍ
إِنْ تَسْتَبِثْهُ تَجِدْ عُرَامًا
وَحَيَّةً أَفْعُوَانٍ لِيَصِبِ

إِذَا دَعَا صَوْتُ مُسْتَغِيثٍ
بِالْوَحْدِ مِنْ سَيْرِهَا الْحَيْثِ^(١)
وَكُلُّ عَيْرَانَةٍ دَلُوثِ^(٢)
وَذَاتِ لُوثٍ بِهَا مَلُوثِ^(٣)
غَيْرَ سَاحِلٍ وَلَا نَكِيثِ^(٤)
لِلنَّاسِ نَابَتْ عَنِ الْغُيُوثِ
وَمَلَجَأُ الْخَائِفِ الْكَرِيثِ^(٥)
غَيْرَ شَطُورٍ وَلَا ثَلُوثِ^(٦)
ثُمَّ وَمِنْ طَارِفٍ حَدِيثِ
مِنْ مُسْتَبَاثٍ لِمُسْتَيْثِ^(٧)
يَعِثُ فِي مُهَجَّةِ الْعَيُوثِ

- (١) قلصته: أراد طويته، من قلص الإزار: إذا شمره. القلاص: النياق، مفردها قلوص. تهوي: تسرع.
الوخذ: ضرب من السير السريع. الحثيث: السريع. أي قصرت هذا الطريق بالنوق السريعة.
- (٢) المعوج: من المعج: ضرب من السير سهل. العيرانة: الناقة التي تشبه العير، أي الحمار الوحشي - في صلابتها. دلوث: جريئة على السير. القرا: الظهر. أي ناقة صلبة كبيرة الشكل سريعة.
- (٣) ميعة الفرس: أول جريه، نشاطه. مشي الدفقى: أي مشيا واسع الخطى، كأنه يتدقق في سيره. لوث: قوة. ملوث: أي إن القوة قد ليثت بهذه الناقة، أي لفت.
- (٤) السجيل: ضد المبرم. النكيث: المنكوث، من نكث الوعد: أخلفه.
- (٥) الكريث: الذي كثره الهم، أي أثقله. الندى: الكرم. السدى: المعروف.
- (٦) اللبون: ذات اللبن، استعاره للعطاء. الشطور: التي يس خلفان من أخلافها. الثلوث: التي يبس ثلاثة أخلاف من ضرعها وبقي واحد، وقيل: التي يبس خلف واحد، وبقي ثلاثة. يقول في الأبيات (١٤-١٧) إن النوق (أي المسافرين عليها) تطلب وعد موسى الصحيح ومعروفه الذي يفرج كربة الخائف المهموم، فكرمه لا يشينه عيب.
- (٧) تستبث: تستخرج. العرام: ما يظهر من شدة الرجل في الحرب والخصومة؛ ويقال للسنين الشداد: عوارم. المستبث: المستخرج بفتح الراء. المستبث: المستخرج بكسر الراء. وفي رواية الصولي: إن تستبثه تجد عرامًا.

وَقَفَّا عَلَى سَمِّهِ النَّفِثِ ^(١)	تَغْدُو الْمَنَائِمَ مُسَخَّرَاتٍ
غَيْرِ دَدَانٍ وَلَا أُنَيْثِ ^(٢)	وَصَارِمَ الشَّفَرَتَيْنِ عَضْبًا
صُبَّ إِنْتِقَامًا عَلَى اللَّيْثِ	لَيْثًا وَلَكِنَّهُ جِهَامٌ
يَحُلُّ مِنَ الْعُشْبِ وَالْجُثُوثِ ^(٣)	أُنَكِدُ بِأَرِي النَّوَالِ مَا لَمْ
لَيْسَ بِنَزْرٍ وَلَا لَيْثِ ^(٤)	مَا الْجُودُ بِالْجُودِ أَوْ تَرَاهُ
مِنْ صَادِقِ الْوُودِ مُسْتَرِيثِ ^(٥)	طَالَ الْمَدَى فَأِعْتَرَاكَ عَتَبٌ
مَوْتُ جَرِيرٍ وَلَا الْبَعِيثِ ^(٦)	خُذَهَا فَمَا نَالَهَا بِنَقْصٍ
فِي مَدْحِهِ يَا أَبَا الْمَغِيثِ	وَكُنْ كَرِيمًا تَحْدُ كَرِيمًا

(١) النفيث: المنفوث، من نفثت الحية السم: نكرت ورمت به، بصقته.

(٢) العضب: السيف القاطع. الددان: الكيل. الأنيث: غير الذكر، أي غير الجيد.

(٣) أنكد به: أي ما أقل خيره. الأري: العسل. لم يحل: أراد ما لم يحل من أزاهير العشب؛ وقيل: لم يخل: يخل: أي لم يؤخذ من خلايا النحل. اللويث: النبات المختلط، الملتف. أي أنكد بعسل النوال ما لم يحل من كثرة العشب وطيبه، أي كثرة العطاء.

(٤) النزر: القليل. اللبيث: المبطئ. أي لا يحسب الجود جودًا إلا إذا خلا من المظل، وكان العطاء كثيرًا. كثيرًا. والبيت يشرح ما قبله.

(٥) مستريث: مستبطئ.

(٦) جرير والبعيث: شاعران إسلاميان معروفان.